في كل ليلة حكاية

(١٣)

حواريّ رسول الله ﷺ

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فِي جلسَةٍ جَمِيْلَةٍ ، حَيثُ الأَشجارُ الوَارِفَةُ ، والزُّهورُ الرَّائِعَةُ وَالهَواءُ العَليلُ ، راحَ المُهندسُ (أَحمد) يَتساءَلُ: كيفَ استطَاعَتْ خَالَتِي (أمّ سَعيد) تَربيةَ أَوْلادِهَا وقدْ مَاتَ زَوْجُهَا مُنذُ سَنواتٍ ، وَهِيَ تَسعَى هُنا وهُنَاكَ ، تَقومُ بِالعَمَلِ الوَظِيْفِيِّ ، وتعملُ غَالبيةَ أَعْمَالِ البَيتِ ، وتُربِّي الأَولَاد..؟

فَكيفَ تَستطيعُ المَرْأَةُ أَنْ تَأخذَ دورَ المَرْأَةِ وَالرَّجُلِ بآنٍ واحِدٍ؟!

حَقاً إِنهُ لأمرٌ كَبيرٌ ـ قالَتِ (ابتهَال) ـ وَمسؤولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، لكِنْ يَبدُو أنَّ فِي الأَمْرِ سِراً ما.

قالَتْ (أَسماءُ): إِنَّهُ اللهُ يُساعِدُ المَرأَةَ الَّتي

يَمُوتُ زَوْجُها ، وذلكَ كَي لا يَضِيْعَ الأَوْلاَدُ.

وَبينَما هُمْ يَتَناقَشُونَ فِي هَذِهِ المَسأَلةِ إذ قَالَتْ (ابتهالُ): هَاهِيَ والِدتَنا قَدْ أَتَتْ وَهِيَ تَحْمِلُ في يَدِهَا كِتَاباً... وَهِيَ خَبِيْرَةٌ فِي مَسأَلَةِ خالَتي.. فَهلا سَألنَاهَا؟!

وَبِالفِعْلِ ، وَصَلَتْ (أُمُّ أَحمد).. ولمّا جَلستْ لِتستَرِيحَ ، قالَتْ (أَسماء): لَقد كُنَّا نَتَحدَّثُ قَبْلَ قليلٍ عَن كَيْفيَّةِ تَوفِيْقِ خالَتنا (أمّ سَعيد) بينَ العَملِ وَبينَ تَربيةِ أَولادِهَا وبينَ أُمُورِ البَيْتِ.؟

أَحسنتُمْ ـ قالَتْ (أُمّ أحمد) ـ لَكِن أَيْقنُوا أَنَّ المَرأَةَ إذا عَكَفتْ على تَرْبِيَةِ أَوْلادِهَا التَّرْبِيَةَ الحَسَنَة ، فإنَّها تضَحّي بكلِّ شيءٍ في سَبيلِ ذلكَ.

وَهذا الأَمْرُ لَيسَ جديداً ، إنَّما تَذكرُ كُتُبُ التَّاريخِ نَمَاذِجَ عَنْ تَرْبِيَةِ أَولادٍ أَشرفَتْ عَلَيْهم أُمَّهاتٌ فَقَدنَ أَزواجَهُنَّ.

أَجَلْ ـ قَالَتْ (أُمُّ أَحمد) ـ إِنَّهُ اقتراحٌ رَائعٌ وَلكِنْ ليَجْتمعَ الجميعُ ، فيَسمعُوا الحِكَايَةَ الجدِيدَةَ فِي هذهِ اللَّيْلَةِ الجَمِيْلَةِ.

وانطَلَقَتْ (أَسْماءُ) إلى البَيْتِ وَأبلغتْ خَالَتهَا (أمّ سَعيد) والأولاد.. بَينَما كانَتْ (سُعاد) تُساعِدُ والدتهَا بإحضارِ نوعٍ مِنَ الحلوياتِ التي تُصْنَعُ في بِلادِ الشَّامِ فَقط..

وَبعدَ دَقائقَ مَعدودةٍ حَمَلتْ (سُعادُ) طَبَقَ الحلوياتِ. وَحَمَلتْ وَالدَتهَا علبةَ المَحارمِ.. وَقالَتْ (أمّ سعيد): هَيّا تَفضَّلوا.. عَلى بَرَكَةِ اللهِ وَرَسُولُهُ.

فَسألَ (أَنورُ): وَما هِيَ المُناسَبَةُ يا خَالَتِي؟

أَجابَتْ: إِنَّها مُناسبَةُ نَجاحِ ابنةِ خالَتِكَ (سُعاد) إلى السَّنةِ الثَّالثةِ في جَامِعَةِ دِمَشق.. وَنسأَلُ اللهَ لَها مَزِيداً مِن النَّجاح والتَّوفيقِ..

قَالَتْ (أمُّ أحمد): أَلف مَبروك ياسُعاد ، وَإِنْ شاءَ اللهُ نَأكلُ الحَلوياتِ وَقْتَ الشَّهاداتِ العُليا.. ووَقْتَ الفَرحةِ الكَبيرَةِ..

ثُمَّ قالَتْ (أُمُّ أَحمد): هَيَّا.. فَسنبتَدِي الحِكايَةَ الجَدِيْدةَ..

تربيةٌ فَرِيْدَةٌ!!

(صَفيَّة بنت عَبد المُطَّلبِ) عمَّةُ رَسولِ اللهِ ﷺ ، كَانتِ امرأةً قَوِيَّةً ، رَبَّتْ وَلدهَا (الزُبَيْر بن العوَّام) على مَكارمِ الأخلاقِ ، وخاصَّةً على حبِّ الشَّهادَةِ وحُبِّ الفِدَاءِ وَالتَّضحيةِ..

لذلكَ عِنْدَما مرّ بصفيَّة غُلامٌ قَدْ كُسِرَتْ يَدُهُ وَالدِّماءُ تَسيلُ على وَجهِهِ ، فَسألتهُ: ما شَأنُكَ؟ قال: قَاتلتُ الزُّبيرَ فَقَتَلَنِي.

فَفَرِحَتْ فَرَحاً كَبيراً ، وقَالَتْ: وَيحَكَ أَما

وَجـدتَ مَـنْ تُقـاتِـلُ إلاّ مَـنْ خـالُـهُ حَمـزَةُ بـن عبد المُطَّلب؟!

وَفَرِحَتْ (أَسماءُ) و(ابتهالُ) و(أَحْمدُ) وَقَالَتِ (ابتهال): وَهذا مثالٌ حَيٌّ مِنَ التَّاريخِ الإسلاميِّ.. وخالَتِي تُشبهُ في حالَتِهَا صَفيَّةَ مع أَوْلادِهَا.

قَالَ (سامِي): إذاً حِكَايَتُنا اللَّيْلَةَ عَنْ صَفيَّةَ بنتِ عَبد المطَّلبِ أمْ عَنْ ابنِها الزُّبيرِ بن العَوَّامِ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجمعين؟

ابتسَمَتْ (أُمُّ أَحمد) وَقالتْ: بَلِ الحِكَايَةُ عن الزُّبَيْرِ بنِ العوَّامِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ.

فَارِسٌ منذُ الصِّغَر!!

وَهكَذا شَبَّ الزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ عَلى الشَّجاعَةِ والجُـرأَةِ ، لا يَهـابُ شَيئـاً ، يتقـنُ كـلَّ أنـواعِ الفُروسِيَّةِ والقِتَالِ ، يثبُ على الخَيلِ وَهِي تَجري

بِسُرعةٍ ، ثابِتاً واثقاً بِمَا يُؤمِنُ.

لِذلكَ عِندمَا أَعْلَنَ إِسلامَهُ.. وكانَ صَغيراً لا يُجاوزُ الثَّانيةَ عشرةَ مِنْ عُمُرِهِ ، جَاءَ عَمُّهُ ، وَوَضَعَهُ على الحَصِيرِ ، ثُمَّ وَضَعهُ على النَّارِ ، وَراحَ يَقولُ لَهُ: لَنْ أُفلتكَ حَتَّى تَعُودَ عن الدِّينِ الجَدِيدِ.

وَكَانَ جَوابُ الزُّبيرِ: واللهِ يا عَمّ ، لا أكفرُ أَبداً ، ولا أرجعُ إلى الكُفرِ مَهمَا فَعلتَ أَنْتَ وَطَواغِيْتُ المُشرِكِين!!

وَتقولُ الرِّواياتُ التَّاريخيَّةُ: إِنَّ الزُّبيرَ بن العوَّامِ يُعتبرُ رَابعَ أَو خَامسَ السَّابقينَ الأَوَّلينَ ، فَقدْ أَعْلَنَ إِسْلامَهُ بَعدَ إِسلامِ أَبي بَكْرٍ الصِّديقِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ. وَتقولُ الرِّواياتُ:

إِنَّ الزُّبيرَ بن العوَّامِ حَملَ سَيْفَهُ وجاءَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وَقالَ:

الحَمْدُ للهِ الذي أَرانِي وَجْهَكَ يا رَسُولَ اللهِ.

فَقالَ الرَّسُولُ: «وَلماذَا تَحملُ هذا السَّيْفَ؟».

فَقالَ الزُّبيرُ: لَقد أُخبرتُ أَنَّك أُخذتَ.

فَقالَ الرَّسولُ: «فكُنْتَ صانِعاً ماذا؟».

فَقالَ الزُّبيرُ: كُنْتُ أَضْرِبُ مَنْ أَخَذَكَ.

فَدَعَا رَسولُ اللهِ ﷺ لَهُ ولِسيفِهِ ، وكانَ أَوَّلَ سَيْفٍ سُلَّ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعالى.

وَدارَ الزَّمنُ دورتهُ.. فَهَاجَرَ الزُّبيرُ إلى الحَبشةِ مَرَّتَينِ ، ثُمَّ عَادَ إلى مكَّة المكرَّمةِ ، فأخذَ الإذْنَ من رَسولِ اللهِ ﷺ ليهاجرَ إلى المَدينَةِ المنوَّرةِ.. وَهنالكَ وَلدتْ زَوجتُهُ أَسمَاء بنت أَبي بَكْرٍ ابنَها عبدَ اللهِ، لِيكُونَ أَوَّلَ مَولودٍ وُلدَ لِلمُهاجِرينَ.

فَارِسٌ فِي المَعَارِكِ!!

وَتابعَتْ (أُمُّ أَحمد) حكايتَها الجَمِيْلَةَ ، فَقالَتْ:

وَهكذَا حَضَرَ (الزُّبَيْرُ) كُلَّ الغَزَواتِ وَالمَعارِكِ وَكانَ لَهُ الدَّورُ الكَبِيرُ فِيْ تَحْقِيْقِ الانتصَاراتِ للمُسْلِمينَ ، ومِنْ ذلكَ:

وما إِنْ سَمِعَ بِمُنادِي الخُروجِ إلى بَدرٍ ، حتَّى امْتطَى فَرَسَهُ ، وانطَلَقَ وَهوَ يلبسُ عِمَامتَهُ الصَّفرَاء.

ولمَّا حَدثَتِ المَعْرَكَةُ ، قَاتَلَ قتالَ الأَبْطالِ ، وجُرِحَ جُرحَيْنِ غَائِرَيْنِ ، وكَانَ الشُّجْعَانُ والأَبْطَالُ مِنَ المُشركينَ يَهابُونَ لِقاءَهُ.

ودَارَ الزَّمنُ دَورتَهُ وَكانَتْ غَزوةُ أُحُدٍ.

واصطَفَّ الفَرِيْقَانِ ، فَخرجَ أحدُ صَنادِيدِ قُريشٍ وهوَ (طَلْحةُ بنُ أَبي طَلحة العَبدريُّ)

ونَادَى بالقَوْمِ: مَنْ يَجرؤُ على مُبارزَتِي!؟

لكِنْ مَنْ يتقدَّمُ إلى ذاكَ البَطَلِ؟

فَلمْ يَجْرؤ أحدٌ.. وما هِيَ إلاّ لحَظَاتٌ حتَّى قَفَزَ (الزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ) حتَّى اسْتَوَى معهُ على بَعِيْرِهِ ، وقَاتَلهُ على ظَهرِ البَعِيرِ.

بَعْدَ قَليلٍ نَظرَ المُسْلِمُونَ فَرَأَوا المُشركَ على الأَرضِ.. ثمَّ وَقعَ عليهِ الزُّبيرُ فَذبحهُ بِسَيفِهِ..

وَعَلَتْ أصواتُ المُسلمينَ بالتَّكبيرِ... فنَاداهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَجلسهُ على فَخْذِهِ ، ثُمَّ قَالَ: «إِن لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارياً ، والزُّبيرُ حَواريّ».

قالَ (سامِي): وماذا تَعْنِي كَلِمَةُ الحَواريِّ يا خَالَتِي؟

قَالَتْ (أمُّ أَحمد): عليكَ بِأُخْتِكَ (سُعاد) فَهي تَدرسُ مادَّةَ اللّغةِ العَربيَّةِ.. ، وأهلُ الاختصاصِ هُمْ أَكْثَرُ خِبْرَةً مِنَّا..

وأَثناءَ المَعركةِ جَاءَ الزُّبيرُ إلى رَسولِ اللهِ وَبَايَعَهُ على المَوْتِ في سَبيلِ اللهِ ، وثبتَ ثَباتاً يشبهُ ثَباتَ جَبلِ أُحُدٍ.

حتَّى إذا ما انتَهَتِ المَعْرَكَةُ ، تَفقَّدَ المُسْلِمُونَ قَتْلاهُمْ ، فَوَجَدُوا من أَبرزِ الشُّهداءِ يَوْمَئِذٍ حَمزة بن عبدِ المُطَّلَبِ خَال الزُّبيرِ بن العَوَّام رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وهكَذا اشتركَ في غَزْوَةِ الخَندَقِ ، وكَانَتْ مُهِمَّتُهُ الدِّفاعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَاشتركَ في غَزَواتِ جَلاءِ اليَهُودِ ، كَغزوةِ بَني قُريظَةَ ، وغَزْوَةِ خَيْبَر.

فَفِيْ غَزوَةِ خَيبَر ، بَعْد أن قَتَل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البَطَلَ اليَهُوديَّ (مَرحَب) خَرجَ أَخُوهُ (ياسر) يطلبُ المُبارَزَةَ ، فخرجَ لَهُ

عليّ ، فقالَ لَهُ الزُّبيرُ: أقسمتُ عليكَ إلاّ خَلَّيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَفَعَلَ عَليّ.

وَحملَ (يَاسر) حَربةً كَبيرةً - وكانَ مِنْ أَشِـدَّاءِ اليَهـودِ وَأَبطـالِهِـم - وراحَ يَختـالُ فِـي المَيدانِ ، فبرزَ لهُ الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ.

فَقَالَتْ صَفيَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلب: يا رسولَ الله ، ليسَ عِنْدي إلاّ الزُّبير ، فهوَ وَحِيْدٌ وتَرى (ياسِر) وَقوَّته.

فَقالَ رسولُ اللهِ مُطْمَئِناً: «بَلْ ابنكِ يقتلهُ».

وانقضَّ كلٌّ منهما على الآخرِ ، وكانَ النَّاسُ لا يَسْمَعُونَ إلاّ قَعْقَعَةَ السِّلاح ، لكن ما هِيَ إلاَّ دَقائِقُ حتَّى قَتَلَ الزُّبيرُ بَطَلَ اليَهُودِ..

وَهكَذا اشتركَ في فَتْحِ مَكَّةَ ، وَحَمَلَ لِواءَيْنِ اثْنينِ!!

واشترَكَ في غَزوَةِ حُنينٍ وَغيرِهَا.. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَاهُ..

وَدَارَ الزَّمنُ دَوْرَتَهُ.. وانتَقَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ ، وكانَتْ حُروبُ الرِّدَّةِ في عَهدِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكانَ للزُّبيرِ دَورُ البَطلِ المِغوَارِ..

ثمَّ توجَّهَ مَعَ الجَيشِ الإسْلاميِّ إلى بِلادِ الشَّامِ ، فَشَارَكَ في اليرمُوكِ ، وأَبْلَىٰ بَلاءً حَسَناً ، حتّى كانَ الرُّومُ يَتَسَاءَلونَ عن هذا البَطلِ العَجِيب!!

إنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ

أَجلْ لَقد بَشَّرهُ رَسولُ اللهِ ﷺ بالجَنَّةِ ، وَقَدْ حَضَرَ بَيْعَةَ الرّضوانِ ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَاهُ.

لذلكَ كانَ الفَارُوقُ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ يَقولُ:

الزُّبيرُ رُكْنٌ من أَركانِ الإسلامِ.

وقالَ عَليٌّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَما سُئلَ: من أَشجَعُ النَّاس؟

أَشارَ إلى الزُّبيرِ وَقال: ذاكَ الذي يغضَبُ غَضَبَ النَّمِرِ ، ويثبُ وُثوبَ الأَسدِ!!

وَفِي مَوقعةِ الجَملِ.. تَرَكَ الزُّبيرُ القِتَالَ واعتزَلَ الفِتنَةَ ، واتَّجهَ إلى المَدينَةِ المُنَوَّرةِ ، فَلَحِقَهُ جَماعةٌ مِنْ أهلِ الفِتْنَةِ وَعلى رَأسِهم عَمرو بن جرمُوز التَّميمي ، فَقتلوهُ غَدْراً ، وَكانَ ذلكَ في سَنَةِ ستٍّ وَثلاثينَ مِنَ الهِجرَةِ..

فَقَرأَ قَوْلَهُ تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الانبياء: ١٠١].

وقَرَأَ قوله تَعالَى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

ثُمَّ قَالَ: فأَنا وَعُثمانُ وَطلحةُ وَالزُّبير.. نَسألُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مَعهُمْ.. ويَحشُرنَا جَمِيعاً تحتَ لِواءِ سَيِّدِ المُرْسَلين... وإلى حِكَايَةٍ جَديدةٍ فِي لَيْلَةٍ قَادِمَةٍ..

وآخرُ دَعوانا أَنِ الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمين